الفصل السادس
في الفكر الديني

الإسلام والتنوير:

شاع مفهوم التنوير في الفكر الأوربي بتركيزه على العقل الإنساني وضرورة التمسك به ، والتحرر من كل أشكال السلطة التي تقيد حريته ، بما في ذلك سلطة الدين ، ولكن مفهوم التنوير في المفهوم الإسلامي يحمل بين طياته معان ايجابية ، فالتنوير يعني الإنارة ويعني الإسفار (مختار الصحاح) ، ويقال نور الصبح تنويرا : ظهر نوره ، ونور الشجر تنويرا : أخرج نوره ، أي زهره (القاموس المحيط) والإسلام لا يرفض التنوير الأوربي المبني على العقل الإنساني ، غير أن التنوير في المفهوم الإسلامي أعم وأشمل من التنوير في الفهم الأوربي ، لأن التنوير في الإسلام يقوم على دعامتين أساسيتان هما الدين والعقل فالدين بمعناه الصحيح في الإسلام يعني الخروج من الظلمات إلى النور ، والنور يعني الوضوح ، وقد أرسل الله تعالى محمدا صلى الله عليه وسلم ليخرج الناس من الظلمات إلى النور ، وهناك العديد من الآيات القرآنية تبين أن الدين جاء ليضئ للناس طريقهم في الحياة وليزيل الغشاوة عن الأعين والقتامة عن القلوب .

أما نور العقل الذي وصفه حجة الإسلام الغزالي بأنه " أنموذج من نور " (مشكاة الأنوار للغزالي) ، كما وصفه الجاحظ بأنه " وكيل الله عند الإنسان " وبتعاون هذان النوران يكتمل البناء فالعقل كالأساس والشرع كالبناء والإسلام في حقيقته رسالة تنويرية إلهية تهدف إلى بناء الإنسان ، والدين الصحيح لا يمنع

obeikan.com

العقل من التفكير والفهم ، لأن العقل في المفهوم الإسلامي هو مناط إنسانية الإنسان، ومعناه وجوهره فإذا عطل العقل بالجهل والغفلة فإن ذلك يعني إلغاء إنسانية الإنسان والهبوط به إلى مرتبة أدنى من مرتبة الحيوان ، كما جاء في القرآن الكريم :

﴿... أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلۡأَنۡعَٰمِ بَلۡ هُمۡ أَضَلُّۚ ...﴾ [سورة الأعراف:179] .

والعقل أساس التنوير ، وقد ارتفع القرآن بالعقل وسجل أن إهماله في الدنيا سببا في عذاب الآخرة ، فجاء على ألسنة الذين ضلوا ولم يستعملوا عقولهم:

﴿وَقَالُواْ لَوۡ كُنَّا نَسۡمَعُ أَوۡ نَعۡقِلُ مَا كُنَّا فِيٓ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ١٠﴾ [سورة الملك:10]

وكذلك ارتفع القرآن بالعلم وجعل أهله في المرتبة الثالثة بعد الله سبحانه وتعالى والملائكة: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلۡعِلۡمِ قَآئِمَۢا بِٱلۡقِسۡطِۚ ...﴾ [سورة آل عمران:18] .

ولما كان الإسلام هو دين العقل والعلم والتنوير فصار من مقتضياته ،أن حذر من إتباع الظن ، وجعل البرهان والحجة أساس الإيمان:

﴿... قُلۡ هَلۡ عِندَكُم مِّنۡ عِلۡمٖ فَتُخۡرِجُوهُ لَنَآۖ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا تَخۡرُصُونَ ١٤٨﴾ [سورة الأنعام:148] .

فالتنوير ضد الجمود ، والجمود على القديم سلب لإنسانية الإنسان ، لأن الجمود على آراء المتقدمين وحظهم في العلم والمعرفة ، وأسلوبهم في البحث والنظر جناية على الفطرة البشرية ، وسلب لمزية العقل التي امتاز بها الإنسان وإهدار لحجة الله على عباده .

obeikan.com

فالحياة في حالة تجدد أمام الإنسان وسنة الحياة هي التغيير والتجدد ، فإنك لا تستطيع أن تنزل نهرا واحدا مرتين وكل شيء يتغير إلا قانون التغيير ، والعصر الراهن الذي نعيشه الآن في حالة تغيير مستمر فلابد أن نفلت من الماضي غير المفيد فالاستمرار فيه والاستغراق هو نكوص لا يجلب فائدة ويؤكد القرآن الكريم على ذلك: ﴿ وَإِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً قَالُواْ وَجَدۡنَا عَلَيۡهَآ ءَابَآءَنَا ...﴾

[سورة الأعراف:28]

والعقل هو الأساس الذي يعتمد عله القرآن في خطاب الناس والمحور الذي تدور عليه تكاليف الشرع أمرا ونهيا ، وقد ذكر القرآن العقل كثيرا هذا بالإضافة إلى لفت الأنظار إلى تكرار كل وظائف القوة العاقلة ، وعبر عنها بألفاظ شتى مثل : " يعقلون ويتدبرون ويفكرون وينظرون ويسمعون ويفقهون ، هذا فضلا عن التفرقة الرائعة بين رتبة " العلم" و "اليقين" من جانب ومراتب الشك والظن من جانب آخر : ﴿... وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِ لَفِي شَكّٖ مِّنۡهُۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنۡ عِلۡمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينَۢا﴾ [سورة النساء:157]

وقوله تعالى : ﴿وَمَا لَهُم بِهِۦ مِنۡ عِلۡمٍۖ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّۖ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغۡنِي مِنَ ٱلۡحَقِّ شَيۡـٔٗا﴾ [سورة النجم:28]

فحفاوة القرآن بالعقل الذي هو أساس الاستنارة ، وتحذيره من مناهج الظنون والشكوك هو أمر طبيعي بالنسبة لدين جاء للناس كافة فقد اتجه الخطاب إلى الإنسان العاقل الحر طليقا من كل سلطان يحول بينه وبين الفهم القويم والتفكير السلم .

الإسلام والحداثة

الدين يعلو ولا يعلو عليه ، وتلك هي طبيعة الإيمان عند الناس جميعا ، وكل ما يقع خارج الدين لابد أن يلتمس المشروعية داخله وليس خارجه ، حيث يتطلب ذلك حكم الشرع ، وأحكام الشرع في الإسلام تشمل : الواجب والممنوع والمندوب إليه والمكروه والمباح .

ولما كنا نعيش في عالم يتجه بقوة حاسمة نحو التفوق المعرفي والتكنولوجي والابتكار والإبداع ، فإننا نحن العرب المسلمين لابد وأن تكون نظرتنا لما يحدث حولنا في العالم نظرة حقيقية مع ذاتنا ، فالمشهد الفكري الثقافي العربي يظهر أن التشبث بقيم الماضي التي جاوزها الزمن ما زالت قائمة في المشهد العربي رغم ما يحدث حولنا في العالم ، ورؤية العالم تتطلب النظرة للكون والمجتمع والإنسان وتختلف الثقافات المختلفة في رؤاها السائدة في العالم ، وقد تسربت هذه الرؤية إلى عقول البشر من خلال برامج تعليم عقيمة وإعلام فاشل ، وتنشئة اجتماعية تركز على تقديس التقاليد حتى ولو كانت قد تجاوزها الزمن .

ويقودنا ذلك إلى موقف الإسلام من الحداثة أو الديمقراطية ، فالشرع قد أوجب النظر بالعقل في الموجودات واعتبارها ، والإسلام في ضوء ذلك يقبل الحداثة ومقتضياتها من ديمقراطية وعقلانية وحقوق إنسان .... إلخ .

فالعقلانية مثلا واجبة ، لأن الشرع أوجب النظر العقلي في الموجودات واعتبارها كما أن الديمقراطية وحقوق الإنسان ، يلتمس لها الوجوب بتوظيف مفاهيم (الشورى) ، وتكريم الإنسان ، والدعوة إلي العدل ، وغيرها من المفاهيم

obeikan.com

الواردة في القرآن الكريم والحديث الشريف بصيغه فعل الأمر، كما يمكن الرجوع بقضايا الحداثة المعاصرة إلي أصل واحد هو المصلحة العامة، فما كان منها يحقق المصلحة، مصلحة الإنسان كفرد ومصلحة المجموع فهو واجب أو علي الأقل مندوب إليه، فعلي سبيل المثال : أيهما يحقق المصلحة العامة حكم الفرد، أم الحكم الذي يقوم علي الانتخاب الحر وعلي المراقبة الفعلية ؟

والجواب : أن الشرع مع الانتخاب والمراقبة لأنهما أقرب إلي الشورى من أي شيء آخر، ويتطلب ذلك معرفة بالتراث للدفاع عن الحداثة وتأصيلها، كما أن تطبيق الشريعة في الزمن المعاصر يتطلب المعرفة بما يشكل قوامه ومعاصرته.

فنحن نعيش في دائرة إنسانية أوسع وأرحب، وقد نبه الإسلام إلي تلك الدائرة مؤكدا علي العنصر الإنساني الشامل بقوله تعالي :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ١٣ ﴾ [سورة الحُجُرات:13].

كما أكد الإسلام علي ضرورة دراسة ما اخترعه الإنسان وابتكره وأبدعه من أجل الصالح العام للاستفادة منها، وذلك في قوله تعالي :

﴿ أَفَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَتَكُونَ لَهُمۡ قُلُوبٞ يَعۡقِلُونَ بِهَآ ... ﴾ [سورة الحج:46].

فالإسلام يدفع الإنسان إلي طلب العلم والبحث والإبداع وابتكار كل ما يفيد الإنسان علي الأرض، فإن تقدم الآخرين وتخلف المسلمين الحضاري في القرون الأخيرة، يرجع إلي أن الآخرين قد مارسوا التفكير واستخدموا عقولهم جيدا بينما توقف المسلمون علي التفكير ويقول القرآن الكريم في ذلك : ﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا مِّنۡهُۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [سورة الجاثية:13]

الإسلام والحوار مع الأخر

هنــاك رؤيــة مسـيطرة علــى أذهــان صـناع القــرار في الغــرب هــي الرؤيــة الاستعمارية سواء كانت عسكرية أو اقتصادية ، أو ثقافية ، أو فكرية .. الخ .

و هـذه الرؤيـة تضـع الحضـارة الغربيـة في مرتبـة السـيادة علـى الحضـارات الأخرى ولا تقنـع بغير هذا ، بل تتجه إلى ضرورة فرض النموذج الحضاري الغربي على العالم بأسره ، و يرى الغرب في الحضارة الغربية حتى و هي في أزمتها حضارة التقـدم و الحضـارات الأخـرى حضـارات التخلـف و التبعيـة ،إنهـا نفـس العقليـة الاستعمارية القديمة التي أقامت العلاقة مع الأخر على أساس من مبادئ القوة والهيمنــة و العنصـرية ، و لا تــرى فائــدة مــن الالتقــاء الحضـاري أو التفاعــل بـين الحضـارات لأنهـا ذهنيـة اسـتعمارية وضعت الحضـارة الغربيـة في كفـة وكـل الحضارات الأخرى في الكفة الثانية ،لترجح الكفة الأولى .

وتلك الرؤيـة الغربيـة تحمل مفارقـة غريبـة ، إذ هي تـربط بـين ضـرورة العولمة الاقتصـادية و حتميـة صـدام الحضـارات ، و مـا ينجـز عنهـا مـن ردود فعل ، كـالغزو، والهيمنة من جهة و التمركز المضاد من جهة أخرى ، فهو منطق لعولمة تقصى الأخر، و تفرق دون توحد ، و بذلك يصبح الإنسان المعاصر تحت تأثير الصدمات المتتالية .

و بتأمـل نظريـة صـدام الحضـارات نجـد أنهـا تسير في الاتجـاه المضـاد لمسيرة التـاريخ ، و تـرى في الحضـارة الغربيـة القـاعدة الأساسـية لوجهـة العـالم الحضـاري ، وتنكـر حـق الآخـرين الحضـاري في الاخـتلاف ، و لا ترضـى بـالتقـاء الحضـارات ، و لا بـالتوافق الحضـاري بـين الشـعوب إنهـا العنصـرية الحضـارية في ذروتهـا ، و في زمن ينتصر أهله على العنصرية في معركة تلو الأخرى .

وعلى هذا الأساس فإن الغرب لا يؤمن بالتعددية الثقافية، ولا بالهويات المستقلة عن الهوية الثقافية الغربية، ويعتبر الثقافة الإسلامية على وجه التحديد منافسة ومعادية للثقافة الغربية.

كما أن الغرب لا يؤمن بحق الاختلاف الثقافي، ولا يؤمن بوجود ثقافات كونية بخلاف الثقافة الغربية، ولذلك فهو يرفض ادعاء الحضارة الإسلامية بالعالمية، ويعتبره سببا للصراع مع الحضارة الغربية.

وبتلك الرؤية فإن كل صراع مهما صغر يفسر بأنه دليل على استمرارية الصراع، وأن الحرب حرب حضارية أزلية لا تنتهي إلا بنهاية التاريخ.

ولكن الإسلام يدعو للتفاعل مع الأخر لصالح الإنسان وفي ذلك يقول الله عز وجل: ﴿ كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ۝٦ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ۝٧ ﴾ [سورة العلق:7] لأن الإنسان في منهج الإسلام لا يستغنى عن الإنسان، الناس يحتاجون إلى بعضهم البعض، ولا توجد حضارة أكبر من أن تحتاج إلى غيرها. والإسلام يدعو إلى طلب الحكمة لأن الحكمة والعدل والرشد ليس لهم نطاق تاريخي ولا نطاق عنصري ولا نطاق جغرافي.

وبذلك فإن رؤية الغرب تكون خاطئة إذا استمرت على هذا الشكل، ومن ثم فإن ذلك يتطلب حوارا أكثر منه صراعا يقوم على تغيير الوعي وتصحيح الصورة الإعلامية التي يقدمها الإعلام الغربي عن العالم الإسلامي ويتم ذلك من خلال البحث عن أخلاقية حضارية مشتركة تبنى على أساسها العلاقات بين الحضارات وتمنع من إمكانية تصادمها وتدفعها إلى الالتقاء والتعاون.

obeikan.com

ونحن العرب مطالبون بتكوين وعى عربي بهذه القضايا المهمة في الفكر الإنساني المعاصر وبخاصة في عصر العولمة والثورة الإعلامية والانترنت التي جعلت من العالم قرية صغيرة ، وأنهت حياة العزلة وفتحت الطريق أمام الشعوب والحضارات لكي تتفاعل مع بعضها البعض من خلال عمليات التأثير والتأثر والأخذ والعطاء الذي سينتج عنه في المستقبل تقارب حضاري بين الغرب والشرق وبين الحضارتين الغربية والإسلامية على وجه الخصوص ، ولا يمكن أن يتم ذلك إلا بالحوار الجاد المستنير مع الأخر.

obeikan.com

الإسلام والعلم

العلم يجلي حقيقة الدين ، والعلم لا يكون علما نافعا ونورا يهدي إلا إذا أشرق عليه الدين بجلاله ، فالدين يستند إلي العلم ، والعلم يستظل بالدين ، وبذلك لا يقف الدين في سبيل العلم ، والقرآن الكريم وهو دستور الإسلام يضم بين دفتيه ألوان المعرفة الرفيعة والثقافة العالية ، ويلفت نظرنا أن كتاب الرسالة الإسلامية عنوانه" القرآن والكتاب "، فهو قرآن وهو كتاب ، وتلك إشارة بليغة إلي قدر القراءة والكتابة وتحريض قوي عليهما ، وعلي أن يكون المتدين بهذا الدين قارئا .. كاتبا ، ولفظ القرآن و"الكتاب " يتردد في كثير من الآيات عشرات المرات وهذا التكرار تحريض علي القراءة والكتابة .

وقد افتتح الوحي رسالة السماء بالقراءة والكتابة لكون ذلك سبيل العلم الغزير والمعرفة الواسعة ، وفي مختتم هذا الافتتاح السماوي ينتهي بقوله تعالي : ﴿عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [سورة العلق:5]

ومهما بلغ الإنسان من علم ، فإن وراء علمه علماء ، والمجهول وراء ناظريه أكثر مما يكشف له حيث قول تعالي: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾﴾ [سورة الإسراء:85] .

حيث إغراء للإقبال علي دراسة العلم ، حتى يظل العقل الإنساني متحركا ومستمرا في البحث ، وكلما اكتشف شيئا أدرك أن هناك شيئا آخر لم يتم اكتشافه بعد فيدرك أن علمه قليل وأن الله سبحانه لا ينتهي علمه . وبالعلم نستطيع أن نحقق التقدم ونصنع الحضارة ، ونظرا لأننا لم نأخذ بأطراف العلم ظننا أن العلم ضد الدين ، فقد ترتب علي ذلك أن تخلفنا عن ركب العلم الذي نستخدم أدواته

obeikan.com

وإبداعاته الحالية في كل نواحي الحياة رغم أننا لم نسهم فيه خلال العقود الأخيرة إلا أننا نقبل علي ما أبدعه العلم وحققه ، ومرد ذلك أننا قبلنا بتنحية العقل جانبا نتيجة لبنيات معرفية ساكنة وثابتة لا تقبل الحركة وقد أشار إلي ذلك المفكر العربي محمد عابد الجابري بوجود بنية معرفية ثابتة تهيمن علي العقل العربي هذه البنة المعرفية تتجاذبها ثلاثة أمور:

الأول : سلطة اللفظ .

الثاني : قياس الغائب علي الشاهد .

الثالث : سلطة اللاسببية (التجويز) .

والمسلمون هم ناس من الناس جميعا أبناء عصرهم ، وعصرهم الآن هو عصر العلم بكل منجزاته التكنولوجية والمعرفية والمعلوماتية والاتصالية سواء قبلوا ذلك أو رفضوا وأن مشاكل تلك الشعوب بسبب انهيار الحواجر أصبحت ضمن مشاكلهم فالعالم يسعي لحل مشاكله عن طريق العلم لذلك علينا نحن أن نسعى لحل مشاكلنا عن طريق العلم ، فالعلم يوفر الحياة السعيدة للإنسان والدين يوفر له الحب والطمأنينة والسلام والعدل والكرامة .... إلخ . فالإسلام دين عالمي أبوابه مفتوحة للجميع ، ودعوته إلي الخير موجهة لكل الناس لأنه دين علم ضد التطرف والتعصب فجوهر الإسلام " لا إكراه في الدين " ، كما أن خطاب الله سبحانه وتعالي لنبيه محمد : " أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين " .

أليس ذلك علما تفوق به الدين الإسلامي عن بقية الأديان كونه هو الدين الخاتم والجامع وكان دعمه للعلم والدعوة له ينطلق من عالميته ، فالإسلام لكل الناس وليس للمسلمين فقط .

obeikan.com

الإسلام والغرب

منذ عقدين طرح المفكر روجيه جارودي المتنقل بين اتجاهات عصر الأيديولوجيات مشروعه "حوار الحضارات "داعيا إلى تأسيس أرضية للتفاهم بين شعوب الأرض ، وكان مشروعه يتسم بسمة أساسية هي نقد الهيمنة الغربية على عالم اليوم ، واعتبر الغرب عرضا ألم بمسيرة البشرية وبشر بزواله .

وقد روج الغرب لتصورات تؤكد حق الغرب بالوصاية على بقية الشعوب ثم جاءت نظرية نهاية التاريخ التي أطلقها "فوكوياما "تلك النظرية التي انتشرت سريعا ثم تهاوت سريعا .

وفي صيف عام 1993 نشر الأمريكي "صموئيل هنتنجتون"مقالا في صحيفة (*foreign affairs*). بعنوان صراع الحضارات محاولا قراءة مستقبل العالم من خلال صراع بين الحضارة الإسلامية ،والغربية والكونفوشيوسية وقد أثار ذلك جدلا كبيرا في العالم حتى يجعلوا من الإسلام عدوا خوفا من اجتياحه العالم بقيمة السمحة وعدالته التي شهد لها العالم ، فقد ضم الإسلام تحت لوائه جنسيات وعرقيات كثيرة عرفت فيه السماحة والعدل والحب فانتشر نوره في كل مكان حاملا الخير للعالم أجمع ،والإسلام دين سماوي صحي الكلية لا يمكن أن نقارنه بحضارة بشرية صنعها الإنسان فلا يحق أن نتحدث عما يسمى بصراع الحضارات ونضع الحضارة الإسلامية في ميزان مع الحضارة الغربية أو غيرها ، فقد كانت قوة الإسلام في توحيده العظيم لذلك فهو يشكل حالة أرق مزمنة للغرب ،بل إن الذهنية الغربية تربط سلامة مجتمعاتها وشعوبها ودولها وقيمها ببقاء الإسلام أسيرا لحالة

openikan.com

التبعية والضعف والانكسار ، وهذه الفكرة يغذيها التاريخ الطويل من الجراج المتبادلة يمتد أربعة عشر قرنا .

لذلك فإن الصعود الإسلامي في العالم يستند إلى عالمية الإسلام التي كان القرآن أساسها ،فقد اختار الله سبحانه وتعالى من بين كل اللغات والألسنة اللغة العربية لتكون الوعاء الأمين الذي يحمل الحقيقة الإلهية الكونية القرآنية إلى الإنسانية كلها .

فقد جاء القرآن الكريم بحكم الاندماج العضوي بين حقيقته الإلهية ، وصفته العربية قرآنا "غير ذي عوج " ،بل "قرآنا عربيا غير ذي عوج" بحيث جاءت صفته العربية وكأنها طبيعة ثانية له بعد طبيعته الإلهية المطلقة وأصبح وصفه بالكمال "غير ذي عوج" مقترنا بوصفه العربي . أرأيت أعظم من ذلك ؟ .

obeikan.com

الإسلام والفجوة المعرفة

تواجدت الفجوة المعرفية في عصرنا الراهن بسبب استمرار صيغة (الآنا)، و(الآخر) أو (نحن) و(هم) لتكون هي الصيغة الحاكمة في حياتنا المعرفية ، فالتواصل والتأثير يحتاج التقارب بين (نحن) و(هم) فقد أثر العرب المسلمون علي أوربا حضاريا في العصور الوسطي ، فقد كانت حركة الفتوح الإسلامية ، قد حولت البحر المتوسط الذي كان الرومان يسمونا (بحرنا) إلي بحيرة عربية إسلامية عندما فتحوا الشواطئ الشرقية والجنوبية لهذا البحر ، وقد عبرت تلك الفتوحات مضيق جبل طارق إلي شبه جزيرة إيبيريا وفرضوا سيادتهم علي جزر البحر المتوسط لكن الأمر لم يكن مجرد غزو عسكري ، وإنما كان استقرارا وبناء ، ومن ناحية أخري لم يكن البحر المتوسط عامل فصل بقدر ما كان عامل وصل وتواصل بين المنطقة العربية وأوربا .

فقد حققت الحضارة العربية إنجازا معرفيا هائلا سواء من حيث التراكم المعرفي الذي كان بمنزلة طفرة معرفية في تاريخ العلم ، أومن حيث نقل العلم من المرحلة الوصفية التي وقف عندها اليونان وغيرهم من القدماء إلي المرحلة التجريبية والتطبيقية .

فقد أفلح خصوم العقل في عصرنا الراهن في عالمنا العربي الإسلامي في إعادة مستوي الجدل المعرفي والثقافي إلي الوراء عقودا من الزمن ، رغم أن الدين الإسلامي يتيح للأفراد والجماعات مجالا واسعا وأفقا رحبا لاكتساب المعرفة وللتفسير ، فلا توجد في الإسلام سلطة عليا لتقرير ما هي المعرفة ؟ وما هو التفسير

obeikan.com

الصحيح ؟ فليس فيه (بابا) ولا (دالاي لاما) ، ولا مجمع كنسي ، والمؤمنون يتمتعون بحرية واسعة في حرية التفسير واكتساب المعرفة ، وما دام هناك سعيا صادقا وأمينا للوصول إلي الحقيقة ، لذلك كان من الممكن التوصل إلي استنتاجات مختلفة عن الموقف الصحيح في قضية معينة .

ولكي نقضي علي الفجوة المعرفية بنينا وبين الوضع العالمي الراهن علينا القفز فوق التخلف المزدوج ، وهو التخلف عن وضعنا المتقدم الذي تم في الماضي قبل انحسار دورات الحضارة بعيدا عنا، والتخلف المرير في الحاضر الذي يدفعنا إلي غياهب العجز والتبعية ، وأيضا مقاومة التسطيح المخل الذي ينجم عن عدم التمكين أو فقر الإمكانات ، أو ضعف الوعي الجاد بأهمية الدراسات العلمية المتعمقة ، والدفع باتجاه التوجه الإنساني المتسم بالانفتاح الحضاري لاستشراف رؤى المستقبل .

وقد أمرنا القرآن الكريم بأن ننظر في الكون ونتأمل فيه مع التفكير العقلي حتى ينتهي الإنسان إلي درجة من العلم لتحقيق المعرفة ، فكل شئ ذكره القرآن الكريم مطلوب تأمله بالعقل والنظر فيه ، وليس مجرد قراءة القرآن وحفظه يكفيان لاكتمال إيماننا بالدين ، فأين موقع ذلك من قوله تعالي :

﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴾ [سورة محمد:24]

فكل الآيات القرآنية الكريمة التي تتحدث عن الظواهر الكونية والكائنات المختلفة تنتهي بالدعوة إلي حث القوى الفكرية لدي الإنسان لتكوين معرفة حقيقية وتأسيس علم يقوم في مجمله علي خدمة الإنسان لصيانة كرامته ونفسه .

الإسلام و تكريم المرأة (1)

لم تحظ المرأة بتكريم في أي دين من الأديان مثلما حظيت بتكريم الإسلام لها تكريما يفوق أي تكريم آخر فقد يرى البعض أن المرأة بمقتضى الخلق والتكوين أنها ضعيفة التفكير، ومفتقدة إلى سداد الرأي وتلك أخطاء شائعة، لأن الطبيعة الإنسانية واحدة بين الرجل والمرأة فوضع المرأة التاريخي كوضع الرجل التاريخي، وكما اصطفي الله من الرجال فقد اصطفي من النساء، و ذلك في قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾

[سورة آل عمران:42]

كما تقبل الله تعالى المرأة فيما يتصل بشئون العبادة والقيام بخدمة أماكنها المقدسة كما يتقبل الرجل وذلك في قوله تعالي :

﴿ إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّى وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ ۖ وَإِنِّى سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّىٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٣٦﴾ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ۖ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا ۖ قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا ۖ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾ ﴾ [سورة آل عمران35 :37]

وكما أوحي الله سبحانه وتعالي إلي الرجل فقد أوحي إلي المرأة حيث أوحي إلي أم موسي بقوله تعالي :

﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ ۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٧﴾ ﴾ [سورة القصص:7]

ثم كانت أخت موسي كما أنبأنا القرآن الكريم :

﴿ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِۦ قُصِّيهِ ... ﴾ [سورة القصص:11]

كما نجد امرأة فرعون التي أنقذت موسي عليه السلام من القتل :

﴿ ... قُرَّتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾

[سورة القصص:9]

ثم أظهر القرآن الكريم قوة إيمان امرأة فرعون بربها ضد جبروت زوجها وطغيانه في قوله تعالي : ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ٱبْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِي مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [سورة التحريم:11]

وقد زاد من تكريم المرأة في الإسلام أن جعل لها كافة الحقوق التي يتمتع بها الرجل فقد أعطاها حرية اختيار وقبول الزوج كما أعطاها حرية العمل والفكر والتعليم ، والعلاقة بين الرجل والمرأة في شتي صورها بدءا من الأمومة والزوجية ، والبنوة ومروا بالأخوة والقرابة هي علاقة أراد الله لها البقاء أبد الدهر حتى تبقى الحياة الإنسانية ذاتها ، كما نجد أن المرأة قد بايعت الرسول ﷺ ، وقال لهن الرسول "فيما استطعتن وأطقتن " رحمة منه ورفقا بالمرأة ، وردت عليه النساء وقلن للرسول ﷺ :"الله ورسوله أرحم بنا منا بأنفسنا"رواه البخاري عن عائشة رضي الله عنها كما جاء في حجة الوداع قول الرسول الكريم ﷺ " ألا واستوصوا بالنساء خيرا " .

لقد كرم الإسلام المرأة بتكريمها في القرآن وفي الحياة وصية الرسول لنا ألا يدل ذلك علي قيمة المرأة ومكانتها في الإسلام .

obeikan.com

الإسلام وتكريم المرأة (2)

كان المجتمع الذي سبق ظهور الإسلام لا يقيم للمرأة وزنا ولا يعرف لها حقا، وعندما جاء الاسم ضمن التشريع الإسلامي حقوق الرجل وحقوق المرأة ، وحقوق الأبناء داخل الأسرة ، فلا استعلاء لمجتمع الرجال على مجتمع النساء ، كما كان الأمر في حضارة الرومان وحضارة الإغريق .

وبالنظر لحياة النبي ﷺ نجد موقعا كريما للمرأة مع إشراق فجر الإسلام فحين فاجأ الوحي الرسول وهو في غار حراء ذهب إلى بيته وقد دخله الروع ، فلما رأته زوجته خديجة وعرفت الأمر قالت للنبي ﷺ تهدئه وتخفف عنه وتخفف عنه " كلا والله ما يخزيك الله أبدا، إنك لتصل الرحم ، وتحمل الكل وتكسب المعدوم وتقي الضعيف ، وتعين على نوائب الحق " ، وقد كانت أول الخلق إسلاما .

ونظم الإسلام الأسرة حتى يقوم المجتمع الإسلامي ، والي يتقرر فيه بحق قول الله تعالى : ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ... ﴾ [سورة التوبة:71] والولاية بمعني القرب والاتصال والتعاون والتكافل .

والنساء كما ورد في الحديث الشريف : " شقائق الرجال " ولم يعهد هذا من قبل في الكتب السماوية السابقة ولا في الحضارات السابقة علي الإسلام ، والإسلام جعل المرأة تملك أمر عقيدتها بنفسها وتبايع بنفسها النبي ﷺ علي الإيمان وهو الذي جعل امرأة عربية ترد عمر بن الخطاب حين بدأ له أن يدعو إلي تقليل المهور للنساء ، وتحاجه بقوله تعالي : ﴿وَإِنْ أَرَدتُّمُ ٱسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا ...﴾ [سورة النساء:20] ، فيرجع عمر بن الخطاب عن

obeikan.com

رأيه وهو الذي كانت تهتز لكلمته عروش الأباطرة ويقول :" أصابت امرأة وأخطاء عمر" .

كما نجد أن الرسول كان يستشير المرأة في بعض أمور المسلمين وذلك عندما أخذ رأي زوجته أم سلمه في مسألة عمرته التي حل منها في الحديبية ، وتردد المسلمين في الحلق ، فقد أشارت عليه أن يبدأ هو بالحلق حتى يقتدي به المسلمون.

وقد حملت النساء أيضا أمانة العلم الديني وهو ما لم يكن متصورا في الأديان السابقة ، فقد روت أحاديث النبي ﷺ أزواجه الطاهرات ، وكثيرات من النساء كأسماء بنت أبي بكر وأم هاني بنت أبي طالب ، ونفيسة بنت حسن الأنور ، واشتهرت بين النساء شاعرات مثل الخنساء ورابعة العدوية ، كما اشتهرت بعضهن بموهبة الأدب كالسيدة سكينة بنت الحسين ، وهكذا فإننا نجد تكريم الإسلام للمرأة كان بأوامر قرآنية وتوجيهات من الرسول ﷺ ليضع المرأة في مكانها الصحيح الذي أراده لها الله سبحانه وتعالي .

الإسلام يؤكد روعته

أعلن الإسلام منذ اللحظة الأولى أنه جاء رحمة للعالمين لقوله تعالى :

﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧﴾ [سورة الأنبياء:107]

كما جاء الإسلام ليقيم موازين الحق و العدل ويرسي دعائم الأخلاق ، وهذا أكده نبي الرحمة في قوله:"إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق" (رواه البخاري). وللإسلام ثوابت لا يغفلها أحد وهى لا تتغير باختلاف المكان والزمان **ومن هذه الثوابت :**

1- أن حقيقة الإسلام هي حقيقة كل دين فالإسلام معناه إخلاص العبادة لله والإيمان بالله وملائكته و كتبه ورسله واليوم الآخر.

2- أن الله عزوجل أوجد الناس جميعا من أب واحد وأم واحدة يقول تعالي:
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ ...﴾ [سورة النساء:1].

3- أن من مقاصد الأديان التعارف وذلك في قوله تعالى :

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ ...﴾ [سورة الحُجُرات:13]

4- وهذا التعارف يستلزم الحوار وتبادل المنافع بين الناس وتبادل الأفكار، وقد أورد لنا القرآن الكريم ألوانا من الحوارات بين الرسل و أقوامهم و بين أهل الجنة وأهل النار حتى بين الخالق عزوجل وبين ملائكته ، وبين مخلوقاته بصفة عامة : ﴿وَإِذۡ قَالَ رَبُّكَ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ خَلِيفَةٗۖ

قَالُوٓاْ أَتَجۡعَلُ فِيهَا مَن يُفۡسِدُ فِيهَا وَيَسۡفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحۡنُ نُسَبِّحُ بِحَمۡدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾ [سورة البقرة:30]

﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [سورة البقرة:256]

كما إن الحضارة الإسلامية قد تواصلت في السابق مع كافة الحضارات ، الأمر الذي جعل أعظم الفلاسفة المسلمين وهو ابن رشد يجعل من الاطلاع على ثقافات الآخرين أحد الواجبات الدينية التي لا يجوز للمسلمين التخلي عنها ، فالإسلام يعترف بالآخر ويتجلى ذلك في اعترافه بالأديان السماوية السابقة عليه ، وهو خاتم الرسالات السماوية وهى كلها خرجت من مشكاة واحدة، وهذا ما أكده القرآن الكريم: ﴿مَّا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدۡ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبۡلِكَۚ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغۡفِرَةٖ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٖ ﴿٤٣﴾﴾ [سورة فُصِّلَت:43].

وقوله تعالى : ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴿١٣٦﴾﴾ [سورة البقرة:136].

وقد أكد الإسلام حرية العقيدة كما جاء في القرآن الكريم : ﴿وَقُلِ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكُمۡۖ فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡۚ ...﴾ [سورة الكهف:29] .

وقوله تعالى : ﴿وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ لَأٓمَنَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ كُلُّهُمۡ جَمِيعًاۚ أَفَأَنتَ تُكۡرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ ﴿٩٩﴾﴾ [سورة يونس:99] .

ولم يقف الإسلام عند حد تقرير المبدأ بل يمنع كائنا من كان أن يحاسب الكفار على كفرهم في الحياة الدنيا ، بل جعل ذلك من حق الخالق وحده

في قوله تعالى: ﴿وَإِن مَّا نُرِيَنَّكَ بَعۡضَ ٱلَّذِي نَعِدُهُمۡ أَوۡ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِنَّمَا عَلَيۡكَ ٱلۡبَلَٰغُ وَعَلَيۡنَا ٱلۡحِسَابُ﴾ [سورة الرعد:40].

وقولـــه تعـــالى: ﴿وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشۡرَكُواْۗ وَمَا جَعَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ حَفِيظٗاۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيۡهِم بِوَكِيلٖ﴾ [سورة الأنعام:107].

هذه هي روعة وجمال وسماحة وحرية الدين الإسلامي وقد دفعت روعة الإسلام الأديب الألماني جوته (749هـ - 1832م) أن يشيد بالأدب الإسلامي ويطلع على القرآن الكريم في بعض ترجماته فيقول:"من حماقة الإنسان في دنياه أن يتعصب كل منا لما يراه ، وإذا كان الإسلام معناه التسليم لله فإننا جميعا نحيا ونموت مسلمين."

فقد دخل الإسلام الشرق بسماحته وروعته إذ فتح المسلمون في ثمانين عاما أوسع مما فتح الرومان في ثمانية قرون ، وكانت هذه الفتوحات الإسلامية تحريرا للشرق- الإنسان والأرض- من القهر الديني الذي مارسه الرومان والفرس ضد شعوب الشرق علي امتداد عشرة قرون من الإسكندر الأكبر في القرن الرابع قبل الميلاد إلي الفتوحات الإسلامية .

obeikan.com

الأصل هو" الاختلاف "

لقد خلق الله الناس جميعاً ليكونوا قابلين للتغيير المستمر والتجدد الدائم ، لأن في ذلك عبادة لله عز وجل فالتغيير والتجدد سنة كونية أرادها الله سبحانه وتعالى للناس .

فعندما قال فيلسوف اليونان القديمة " هيراقليطس " مقولته الشهيرة " إنك لا تستطيع أن تنزل النهر مرتين " كان من الطبيعي أن يثور لدى الإنسان العادي تساؤل عما يمنع من نزول النهر مرة أخرى وكان الجواب أن مياه النهر تتغير باستمرار ، لذلك فإن المياه التي سوف تنزل فيها المرة الثانية لن تكون هى المياه الأولى فقد جرت في المجرى وحل مكانها الجديد من المياه .

فالمياه تتغير وتتجدد وتلك سنة كونية ، و التغيير و التجدد نتيجة حتمية للاختلاف الذي خلق الله الناس عليه ، حيث يقول سبحانه و تعالى : ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً ۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ۗ ...﴾ [سورة هود118 :119].

وهكذا شاءت الحكمة الإلهية أن يكون الناس مختلفين كي يتمكنوا من الوصول إلى الحق والصواب والدليل على ذلك قوله تعالى : ﴿... وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى ٱلْهُدَىٰ ۚ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾ [سورة الأنعام:35].

والاختلاف يعنى تعدد فهم الرؤية الواحدة ، و قديماً قال أحد الحكماء : إن الحق لم يصبه الناس من كل وجوهه ، و لم يخطئوه من كل وجوهه ، بل أصاب بعضهم جهة منه ، و أصاب آخرون جهة أخرى .

obeikan.com

و قد جعل الله الإنسان مكلفاً أي صاحب مسئولية ، الأمر الذي أهله لكي يكون – بتدبير الله – خليفة في الأرض ليعمرها بالخير، وقد كرم الله الإنسان وفضله على جميع الكائنات، وهذه الكرامة التي اختص بها الإنسان ، ذات أبعاد مختلفة .

فهي حماية إلهية للإنسان تنطوي على احترام عقله وحريته وإرادته ، وتنطوي أيضاً على حقه في الأمن على نفسه وعلى ماله و ذريته ، و من أجل ضمان تحقيق الحماية الإلهية للإنسان ، حددت الشريعة الإسلامية لنفسها مقاصد خمسة لتأكيد هذه الحماية ، و هذه المقاصد هي حفظ النفس والدين والعقل والمال والنسل .

كما أعطته الشريعة حق الاختلاق ، ومنحته الحرية في الفعل والترك حتى في قضية العقيدة الدينية نجد القرآن يؤكد هذه الحرية بكل وضوح في قوله :

﴿... فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡۚ ...﴾ [سورة الكهف:29] .

و من أوجه حقه في الاختلاف ، نجد الإنسان في بعض حالاته يرد على التعاليم الإلهية بقوله : ﴿... سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۚ ...﴾ [سورة النور:51] ، وفي حالات أخرى يرد قائلاً : ﴿... سَمِعۡنَا وَعَصَيۡنَا...﴾ [سورة البقرة:93] ، كما يخبرنا القرآن الكريم .

و لما كان حق الاختلاف منحة إلهية للإنسان ، فنجد الإنسان كونه مكلفاً ألقيت على عاتقه مسئولية لم تستطع الكائنات الأخرى تحملها و قبل الإنسان وحده تحمل هذه المسئولية بكل ما تعنيه من التزامات و يخبرنا القرآن الكريم بذلك بقوله : ﴿ إِنَّا عَرَضۡنَا ٱلۡأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱلۡجِبَالِ فَأَبَيۡنَ أَن يَحۡمِلۡنَهَا وَأَشۡفَقۡنَ مِنۡهَا وَحَمَلَهَا ٱلۡإِنسَٰنُۖ ...﴾ [سورة الأحزاب:72] . و الأمانة المقصودة هي أمانة التكليف و هذا يؤكد حقه في الاختلاف الذي هو الأصل منذ أن كانت بداية الكون و الخليقة .

obeikan.com

التربية بين الخطاب المعرفي المراوغ ودوال التفكيك

يقول المثل العربي القديم :

"خرجت النعامة تطلب قرنين فعادت بلا أذنين "

التربية والخطاب المعرفي المراوغ :

ساعدت الكثير من الوسائل المنهجية والنظرية على تربية قطاعات شبابية واسعة من المجتمع المصري اعتمدت على الخداع اللفظي وخداع الذات تزييفا لوعي الشباب ،وتجريفا لذاكرته ، وتبويرا لعقله ، ليتم تأصيليهم على فكرة شيطانة الآخر ،وتربيتهم على حالة الإنكار المتعمد المقترنة بقلب الحقائق وتغييرها وطمس كل ما يتصل بالصواب ، وقد تجلت سوسيولوجيا فعل هذه القطاعات كطرح مناقض لحقائق الوجود الحقيقي حيث كان العنف وظواهره القاتلة يعلن عن وجود خطاب معرفي مراوغ لا يقبل الإ نفسه ،ولا يعترف بالآخر، طرح هذا الخطاب آليات تفكيك ثوابت أساسية راسخة في وجدان الشعب المصري كالانتماء والدولة الوطنية والحفاظ على حدود الوطن وسلامة أرضيه .

وقد ساعدت التربية الموجهة لتلك القطاعات من المجتمع المصري على تكوين معرفة مفارقة للمجتمع ،تطور من بنياتها وهياكلها المعرفية أجيالا ذات بعد واحد ،وفكر واحد لا يقبل الحوار ،إنما يقوم على الإقصاء والتهميش ،في ظل مجتمع به قطاعات متعاظمة تقوم على الجهل والتخلف فيتم غرس الخطاب المعرفي المراوغ بسهولة ويسر ،وبخاصة وجود انخفاض قاس في مستوى معيستهم فيكون تقبلهم لأي فكرة وبخاصة عندما تكون ممزوجة بالدين كستار لها ومدعمة بالعبث بوجدانهم ،جديرة بالتأصل والبقاء .

التكامل المعرفي وبناء الإنسان :

وقد شهد المجتمع العالمي في عقوده الأخيرة تحولا فارقا من المجتمع الصناعي إلى نموذج حضاري جديد هو مجتمع المعلومات العالمي الذي يتحول بثبات إلى مجتمع المعرفة ،والمعرفة ليست فقط مجرد وسائل لتحصيل العلوم واكتناز المعرفة ،بل هي وسيلة من وسائل معرفة الإنسان سعيا لبنائه ، كممثل لمجتمع كامل لقدرته ، وللتعرف على العالم من حوله ،وهى أيضا وسيلته الأساسية لكي يتعرف على الآخر ،فكلما ارتفعت قيمة المعرفة والإقبال عليها في مجتمع من المجتمعات وجدنا هذا المجتمع أكثر قدرة على فهم الآخر والتفاعل معه .

ويتطلب بناء الإنسان من خلال التكامل المعرفي ، المعرفة الحقيقية للسياق التاريخي الذي تمر به الإنسانية في الوقت الراهن ، وأبرز ملامح هذا السياق هو الانتقال من الحداثة إلى ما بعد الحداثة ، والتي تعبر عنها العولمة باعتبارها عملية تاريخية ، هي نتاج تراكم طويل في ميادين السياسة والعلاقات الدولية والاجتماع والثقافة والاتصال ، وينصب ذلك على معرفة الآخر من خلال قيم التسامح والتعددية التي تعبر عن ثقة الفرد والمجتمع في ذاته ، ويقينه في قوته التي ترتكز على العقلانية والموضوعية .

ويعني ذلك تربويا إنهاء نظرية البعد الواحد للرؤية ،لأن الواقع في عمقه يكشف عن رؤى متنوعة للوجود والحياة والعقل،يظهر في استخدامها للغة حيث تختزن اللغة سياقات تاريخية كاشفة ، وفي الخطاب المراوغ لا تتطابق اللغة مع ما يعبر عنه أبدا،بل تظهر في تفكك مستمر بين رغبتها في الحضور،وآليات الحضور التي لا تحضر.

obeikan.com

التربية والصراع المعرفي :

وقد أدت أزمة المجتمع المصري بعد ثورة الخامس والعشرين من يناير إلى تفجير ثورة الشعب المصري الثانية في الثلاثين من يونيو، ثورة المطلب الواحد (عدم استخدام الدين لتزييف وعي الشعب تحت شعار يسقط حكم المرشد) .

حيث كان الشعب المصري صنيعة ألاعيب سياسية وفكرية ودينية ورمزية غير متعينة في اللغة والتاريخ ، وذلك يتطلب دورا فاعلا للتربية ،فالتربية مهمومة بتفجير وتثوير الواقع من خلال رؤية جدلية ترى أن الإنسان المصري لا يرى واقعه بشكل مباشر ، وإنما يراه عبر وسيط من النصوص الشفاهية والمدونة التي روجت لها السلطات عبر التاريخ ، فعطلت الحواس عن العمل . ولذلك فإن تثوير الواقع لا يتأتى بنقد الواقع مباشرة ،وإنما نقد العائق الوسيط الذي يحول دون نقد الواقع.

وتقف التربية الآن أمام صراع أبستمولوجي لثقافات متصارعة بوصفها تعبيرا عن الصراع الاجتماعي ،تحمل خطابات معرفية متعددة وعلى التربية أن تطرح صيغة تربوية تقوم على تفاعل كافة الفئات ،والثقافات بحيث لا تسيطر ثقافة واحدة بطبقة واحدة على مستقبل الشعب المصري حتى لا نقع في الرؤية الأحادية لواقعنا ونغفل جوانبه الأخرى ، فإن تفاعل الآراء وكافة الأطياف في القرار السياسي والحضاري والاجتماعي يفسح المجال لرؤية تركيبية ،تتجاوز أنانية الذات الضيقة ، التي تحاول تأكيد سيادة طبقة ترى في نفسها القدرة على قيادة المجتمع وهى في الحقيقة تقوده نحو مصالحها وتحالفاتها مع الآخر .

فالمشهد الثوري المصري يختبر كل مفاهيم علوم التربية التقليدية عن القوة والسلطة والنفوذ والسيادة ، ودور القوى والكيانات السياسية وعلى نحو تخطى

وتجاوز كل ما تم تداوله خلال العقود السابقة من مرجعيات وبخاصة تحت تأثير العولمة في العقدين الآخرين، ومن ثم يقدم المشهد الثوري المصري نموذجا حضاريا شارحا ومختبرا منظورا حضاريا ينطلق من منظور معرفي قيمي إنساني، وهذا النموذج الحضاري ذو صيغة كلية شاملة متكاملة وحاضنة بين أبعاده ،حيث يضفر بين مجموعة من الثنائيات متجاوزا لكل منها إلى ما هو أرحب (الجزء/الكل ،الروح/العقل ،التنوع/التنميط إلخ)حيث تتكون شبكة تفاعلات عضوية سعيا لوحدة في إطار التعدد والتنوع .

ويقودنا ذلك إلى ضرورة التأكيد على عدم إقحام الدين بالسياسة لأن الدين عقيدة والسياسة عمليات سياسية وفكرية واقتصادية لم تتشكل بشكل نهائي ، كي تصبح نظرية أو خطابا معرفيا أو كونيا ، وهذا يوقع البعض في تحليل غير دقيق ،حيث يقع الخلط نتيجة لعدم التمييز بين الدين والممارسات التي يقدمها البشر ،فالدين معطى سماوي صحي الكلية ، والسياسة معطى بشري نسبي الكلية .

ويؤكد ابن المقفع على ذلك بقوله " الدين تسليم بالإيمان ، والرأي تسليم بالاختلاف ، فمن جعل الدين رأيا فقد جعله خلافا ، ومن جعل الرأي دينا فقد جعله شريعة " .

وقد استند فقهاء أهل السنة في تناولهم لكثير من أحكام الرسول (ﷺ) السياسية أنها كانت على اجتهاد **لأمور ثلاثة:**

1- أن الرسول (ﷺ) لم يبين الأحكام السياسية تفصيلا ، كما بين أحكام الدين .

2- أنه لم يستخلف.

3- أنه كان يستشير أصحابه ، بل قد أمره الله بذلك في قوله تعالى :

﴿...وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ...﴾ [سورة آل عمران:159] ، وكان ينزل عن رأيه في كثير من الأحيان .

على ضوء ما سبق يمكن السير في البحث من خلال **الخطوات التالية :**

1 – التربية واستيعاب ما يقع خارج حدود التوجيه والتنميط والتلقين المعرفي .

2 – التربية و إدراك الواقع في صوره المعرفية المتعددة من خلال تصورات النظرية الكامنة في الوعي .

3 – التربية والانتصار للواقع على حساب النظرية من خلال المعيشة الوجودية الحية المباشرة بنقد أدوات المعرفة .

4 – التربية وتعظيم تعدد الرؤى و التصورات لتكوين قيم معرفية كبرى .

5 – التربية و تعقل الوعي بالعقل من خلال مشروعاتنا التنويرية التي تحتاج إلى التعدد بدلا من التصور الأوحد الذي يسيطر عليها .

6 – التربية و توصيف قدراتنا على إدراك أبعاد الحقيقة و هذه القدرات مرتبطة بالتطور الاجتماعي و التاريخي ،بعدم جعل العقل أداة تبريرية في أيدي الطبقات التي تسعى إلى تكوين ماهيات ثابتة عن القيم لترسيخ استقرارها النفسي والسياسي .

العولمة والخطاب الديني

العولمة بمفهومها المعاصر تمثل الهيمنة والسيطرة على كل وسائل الحياة الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والتربوية ، وقد ساعد على توسع العولمة التطور العلمي وقوة دول المركز المسيطرة على الأطراف و تزعم العولمة بمفهومها الحالي توحيد العالم .

والـدين الإسـلامي لا يـرفض توحيـد العـالم بشـرط أن يكـون لكـل شـعب خصوصـياته ومبادئـه ، إنمـا يـرفض توحيـد العـالم ،ووضـعه في قالـب واحـد تحـت سيطرة وهيمنـة إحـدى القـوى الكـبرى ، وتحـت مظلـة أحـد المذاهـب والفلسـفات السـائدة . وأكـد القـرآن الكـريم علـى ذلـك في قولـه تعـالى : ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ...﴾ [سورة البقرة:213] ، وقوله تعـالى : ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ﴾ [سـورة الأنبيـاء:92] ، فـالوحدة هي الأصل في الدين ، على أن تخضع هذه الوحدة لله تعالى ، وقد أكد الله تعالى ذلك في قولـــه: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَـٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [سـورة الحُجُـرات:13] وقـد جـاء الـدين الإسلامي للناس كافة ، كما جاء في قوله تعـالى : ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [سورة سبأ:28] . والخطـاب الـديني في مواجهة العولمة يتطلب : خطابا دينيا بعيدا عن الجمود والتقليد لأن البنـاء علـى أسـاس عقلـي يقتضـي تنقيـة الرواسـب والأكـداس الـتي خلفتهـا القـرون الماضـية ، وأكسبتها طابع القداسة فهيمنت على العقول ، وحجبتهـا عـن البحـث والتأمـل ، والتفكير ، والتنافس في العلم ، ورؤية الأخريين .

وقـد أنـب القـرآن الكـريم المشركين علـى تمسكهم بـآراء السـابقين مـن الآبـاء والأجداد ، ولو كانوا على ضلال مبين ، قـال تعـالى : ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۗ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ [سورة البقرة:170] على هذا الأساس فـالخطاب الـديني مطالـب **بالآتي :**

مقـاومـة المكـابرة والعنـاد ، والمعانـدون هـم الـذين يـرون الحقـائق ماثلـة أمـام أعيـنهم ولكـنهم يعانـدون ويكـابرون ويختلقـون الأكـاذيـب لطمـس الحقـائق ، قـال

تعـــــالى: ﴿يُجَٰدِلُونَكَ فِي ٱلۡحَقِّ بَعۡدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى ٱلۡمَوۡتِ وَهُمۡ يَنظُرُونَ ﴾ [سورة الأنفال:6] .

تحـرر العقـول مـن أغـلال التقليـد ، والمعتقـدات الفاسـدة ، ثـم التأمـل والاستنباط وقد أكد القرآن على ذلك في قوله: ﴿ إِنَّ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ لَأٓيَٰتٖ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴾[سورة آل عمران:190] .

أن تكون النتـائج العلميـة مؤيـدة بالـدليل الملمـوس وبـالبراهين ، قـال تعـالى : ﴿ لَوۡ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَاۚ ...﴾ [سورة الأنبياء:22] .

والمجتمـع العربـي تغـير عـبر الـزمن وبالتـالي تغـيرت مكونـات الخصوصـية الثقافيـة فهنـاك قضـايا أساسـية وحيويـة مـن بينهـا موضـوع التنـوع الخـلاق فهـذه مسـألة أساسـية ،و أن يكـون الحـوار بـين الحضـارات أساسـا ولـيس الصـراع ، فالحضـارة كمـا هـو معـروف تنقسـم إلى قسـمين قسـم مـادي مـن علـوم الكيميـاء والطبيعـة والفلك وغيرهـا وهـذا القسم قابـل للانتقـال مـن مكـان إلى مكـان ، وقسم معنوي يخص كل حضـارة من لغة وعـادات وتقاليـد وقـوانين وديـن وهـذا يخـص كـل شعب من الشعوب . والانفتاح على العالم الخارجي لا يعني النقل الأعمى عنه ، بل يعني أن نتفهم ونتخير مـا يتفـق مـع أصـول حضـارتنا فنأخذه ، ومـا يتعـارض مـع أصول حضارتنا نرفضه .

الخطاب الديني وصيرورة الوجود

تواجه الأمتان الإسلامية و العربية هيمنة ثقافية تجلت في سيطرة قوة أتيح لها من التمكن العسكري والسياسي ، ما يدفعها إلى ادعاء أن حضارتها هي الحضارة الأعلى ، ومن ثم فإن من حقهم التدخل في ثقافة الآخرين وفرض نموذجها على الدول الأخرى.

وفي مقابل ما يحدث الآن في العالم من هيمنة دول المركز على دول الأطراف فإن ذلك يتطلب منا تجديدا في خطابنا الديني المعاصر، و بخاصة أن مسألة التجديد في الخطاب الديني ليست قضية موسمية ، وإنما هي قضية إسلامية متواصلة تتجدد بتجدد الزمان والمكان ، وقد قال النبي (ﷺ) في ذلك "إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها" (أخرجه أبو داود في سننه).

والفكر الإسلامي يختلف عن الفكر الغربي بشقيه الشيوعي و الفردي ، فالفكر الشيوعي يقوم على التفسير المادي للتاريخ ، ويعادي الدين ويجعل من المادة إلها والمذاهب الفردية الغربية تقف موقفا محايدا من الدين ، وكلاهما يجعل الإنسان أسيرا للدنيا ، وهناك بعض المفاهيم متعلقة بالفكر الإسلامي ومنها مسألتان متعلقتان بالخطاب الديني :

- **المسألة الأولى :** أن الإسلام ليس دينا جديدا ، وإنما هو كما وصف القرآن الكريم مهمة النبي (ﷺ) أنه رسول الله وخاتم الأنبياء ، وجاء كتاب الإسلام مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه ، وكما أخبر القرآن

الكـــــريم : ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ٢٨٥ ﴾ [سورة البقرة:285].

- **المسألة الثانية** : وهذا شيء مهم لوجدان الأمة الإسلامية ، فالمسلم لا ينزع نفسه من الحياة بل عليه أن يشارك ويعيش ولا يحرم نفسه كما أمره الله تعالى: ﴿ قُلۡ مَنۡ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزۡقِۚ قُلۡ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا خَالِصَةٗ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ﴾ [سورة الأعراف:32].

والخطاب الديني بهذا المفهوم هو منتج عقلي لتوصيل صحيح الدين بحيث يتم فتح باب الاجتهاد بأدوات وآليات مناسبة نستطيع من خلالها تجديد صياغة الخطاب الديني الذي يصدر من العلماء والدعاة والمفتين إلى جماهير المسلمين وكذلك العالم الخارجي ، وعلى ذلك يكون الخطاب الديني في حاجة إلى الآتي:

1- تراجع الدعوات المغلوطة و التفسيرات المنحرفة ، والتأثير السلب الذي يمارسه بعض الدعاة ، ولا يعرفون ما يدور حولهم في العالم .

2- ضرورة وجود الفهم الصحيح لكثير من جوانب الإسلام عقيدة وشريعة وتصورا للكون و الطبيعة ، فلم تعد المسألة مسألة القدرة الدعوية أو الخطابية، وإنما لا بد تصحيح فهم الدعاة بأمور العقيدة والشريعة ، وهذا يكتسب بالتعلم و البحث ، ومتابعة ما يحدث في العالم من تحولات علمية وتقنية متسارعة الخطى مما أوجب علينا ضرورة النظر فحصا وتدقيقا والمشاركة الفاعلة في الأخذ بالعلوم المفيدة .

3- الارتباط بواقع الناس وواقع الدنيا ، وعدم الانحصار في رؤية محلية ضيقة .

4- عدم الغفلة عن أثر تغير الزمان والمكان ، وعدم التشديد على الناس لأننا في عصر يحتاج إلى التخفيف والتيسير ، وأن يكون إدخال الناس في التدين من باب الترغيب دون الترهيب .

5- ضرورة ابتعاد الدعاة عن تحقير الإنسان لنفسه وعدم ترهيبه حتى لا يعيش مخلوع القلب ، لأنه بذلك لا يستطيع أن يصنع حضارة في عالم صار الكون فيه قرية صغيره .

obeikan.com